

مسرحة الحلب ما أبتشع الحرب



الشعري ونداوة محببة في حركة مطواعة لا يهدأ بلا صخب رتيب. فكانت "ام علي الاسمراني" و "تما"، مرة أخرى، النجمة المتألقة والاشد لمعاناً رغم "ديكور الزبالة" الذي ينحني امام حضورها وشخصيتها اذ تستفز كل احساس فيك. انما "اخت الرجال" مفعمة بانوثة معتقة لا يمكنك الا ان تحبها بشغف. اما رفيق علي احمد، هذا الاسم الواعد في المستقبل المسرحي فجاءنا على الاقل ببطايعين ثمينين: الاول، مقدره على ان يكون النجم مقابل النجم: فتنايته مع نضال الاشقر، رغم نجوميتها وسطوتها المسرحية، كانت التحدي الاصعب الذي لم يثن عزيمته، وهو - الواعد، بل ابلى الغلاء الحسن. اما العطاء الثاني فكان مرونة وانسيابا على خشبة ضيقة ومحدودة الديكور المسرحي وبسيطة الاطار بلا اية بهرجة تافهة فكان التركيز، كل التركيز، على حركة هذين "النجمين": نضال ورفيق. وهنا، كان محك قدرة رفيق علي احمد على ملء الدور الكبير مع الملاحظة الضرورية انه يتمتع بإمكان اللقاء الجيد والمخرج اللغوية السليمة رغم صعوبة النص "الشاؤولي"، وبحنرة لطيفة الاداء لحظة يستوجب النص بعض "الفلتات" الغنائية. اما باقي اعضاء "الفرقة المسرحية" فكانوا "الديكور المتحرك" والاصل بحركة معبرة وبتشكيل "حي" لحظة يطغى الموت والرتابة والانكسار على الجوى.

٣ - في الاخراج، من فؤاد نعيم كان "الزواج الناجح" بين النص والعرض. واطار "المسرحية" العام اختزله بمشهد واحد عنوانه العريض: الحرب، اي الموت، الصمت، العدم والغبار في تشكيل واحد، فكان امينا لنص بول شاؤول الصعب والشعري وافسح واسعا كي تصل القصيدة بعينها ودفئها. اما الديكور "الزبالة" فكان اطارا مطلوباً لبشاعة الحرب. ففي الحرب لا تتراكم الزبالة فقط على الطرقات بل تعشش في النفوس ايضا. وادارة الممثلين العفوية، حنونة حتى لكان المخرج هنا جزء دافئ من الاضاءة والديكور والحركة. وهي تجربة صعبة خاضها فؤاد نعيم عند "مسرح" القصيدة. واذا كان مرسل خليقة نجح بفناء القصائد "الجافة" فان فؤاد نعيم نجح، وبجدارة ايضا، في "مسرح" القصيدة بطراوة واناة.

لم تكن "مسرحية" نشاهدها بقدر ما كانت "نحن" امام "نحن"، كل "مشاهد" متهم وكل حضور مشاركة. كنا "نحن" ضد "نحن" بقدر ما كنا انفسنا مع انفسنا. ايادينا جميعا ملوثة بـ "الزبالة" في هذه المسرحية" وهذه "الحلبة" التي نرجو ان يسدل ستار حربها الى الابد. ولعل الامل، الاخير رؤية نضال الاشقر لاطفال آتين، حاملين الحلم المكسور، قادمين من كل الاماكن الى كل الاماكن، مع رجائنا الحار ان لا يرجع يتعمر لبنان قبورا" بل ان تصق الرويا - الحلم وتكون بعض بلسم لهذا التعب الذي طالعت عذابات.

اسعد يحقوفي

(●) على خشبة جاندارك، رأس بيروت.

"... لم تنته الحرب، لكنه عاد، عاد مستهدماً، ذابله بنذيقته وبداهه محايدتان..."

ان تكتب عن "الحلبة" يعني ان تعيد ترميم الذاكرة المفقودة والمغتالة بهذه الحرب اللعينة. والاحساس بانك "المشاهد" امام "المسرحية" احساس قاتل بالذنب ومثقل للضمير. فهذا العمل - الصرخة لم يكن مجرد "عرض مسرحي" بقدر ما هو فعل اعادة تكوين للذات المسحوقة بالمديان والمعجونة بقلق لا يهدأ. فمن يستطيع الجزم انه "مشاهد" وليس مشاركاً؟ ومن يسترجع انفاسه بعد هذه المطرفة التي ما فتئت توظف الحي المتحرك من قلقه المستمر؟ الحرب، تلك اللعبة الرديئة التي سلبتنا البراءة وتركتنا اطفالاً نرقص مشدوهين على وقع جنوننا العظيم، فكنا ابطالا - اشباحا في لعنتها الدموية. ولعل المعنى اكثر من اي انسان آخر في هذه "المسرحية" جيل ما قبل الحرب: جيل احلام التغيير وامنيات الثورة الوردية، فدخلنا مأخوذين بوابة الخلاص - الوهم ولم نكن ندرک اننا على اعتاب ابواب جهنم. فالمحاكاة هنا تعيننا مباشرة ونرددها جميعا - نحن جيل "السياسة" ما قبل حرب ١٩٧٥ - كما يرددها بظلال "المسرحية" ببلادة وبدون اي عقدة نذب. قد لا ينصدم جيل الحرب بهذه "المسرحية" في الشكل والعمق كما يطولنا نحن، ولا نريد استخفافا بقدراته الاستيعابية، بل "ذنبه" الاوحد انه جيل الحرب وابتناؤها. اما نحن، جيل "السياسة"، ابناء الذاكرة المثقوبة، فحملنا ثقل ثقيل وعذابنا امام ذاتنا في هذا "العرض" كبير وكبير.

١ - في النص، كانت ذاكرة بول شاؤول جامعة وامينة في تدوين يوميات الحرب العنيفة والمفرطة في ضحالة اهدافها. الهذيان اليومي ضرب من "فضائلها"، الشك في الذات و "البرانونيا" امام هذه الحركة اللوججة وهذا الصخب الذي لا يرحم.

لقد "كنت انت ولم تكن انت" في نص بول شاؤول، لقد كانت "يداك وعيناك وفمك ولسانك" وبلا مرآة، انت مدرك جيدا انها ليست لك، هذا الانقسام الواقعي بينك وبينك شهادة حية، وبامانة، اوصلها شاؤول الى مقامها الصحيح: القتل، السحل، القبور، السمسات، اللذات المشوهة، الشعارات، المتاريس و... البطاطا، كلما امور "جميلة" في قباحتها جعلت من "ديكور" شاؤول الكتابي مناخا اليغا لهذا العبث اليومي مطعما بنكهة شاؤول الشعرية الخاصة. ولعل اهم ما في "العمل المسرحي" تلك الصياغة الشعرية ونكاد نجزم باننا امام قصيدة - ذاكرة زمانها قرابة الساعتين من "العرض" اما مكانها فدائري لا يحد.

٢ - في التمثيل، مرة اخرى تتألق نضال الاشقر صفصافة جردية جذوعها تاريخ طويل من الابداع المسرحي وفضاؤها وعود مشرقة في رحاب الابداع والتعبير. فان "سيده المسرح في لبنان" اثبتت، وبلا منازع، اصالة لا تخبو: براعة في الالقاء